من كتاب (حكاية الينابيع) ..

بفارغ الصبر ننتظر صدور كتاب (حكاية الينابيع) وهو عبارة عن توثيق سيرة ومسيرة (منتدى الينابيع الهَجَرية) من فكرة التأسيس إلى قمة النجاح ، وفي هذا الكتاب شهادات غالية ومهمة نسعد بنشر بعضها هنا لتشويقكم لهذا الكتاب الذي يحكي شطرا من ذكريات شعراء المنتدى الذين قاربوا المئتين و يقع فيما يقارب ثمانمئة صفحة من القطع الوزيري بملحق صور نادرة تنتظم أربعة عقود من اللقاءات والفعاليات .

و نبدأ بحكاية الأستاذ الشاعر والأديب (زكي بن إبراهيم السالم) بصفته من السبعة الذين حضروا اللقاء الأول للمنتدى نهاية عام 1407 هـ .

يقول الأستاذ زكي تحت عنوان :

(منتدى الينابيع وسنوات التجّلي)

(كنّا هناك حيث الإبداع فاتحٌ ذراعيه على مرافئ الجمال ليحتضن بضمّةٍ أزليّة تتكسّر فيها أضلاع الذكريات، فتتشظّى أحلامًا وخيالاتٍ رفّت على أكتاف ثلاثين ربيعًا هيَ عُمر تلك الذكريات والأماني الورديّة. كنّا سبعة جمعهم القدر؛ بل جمعهم الهمّ المشترك الذي أخذ بمجامع قلوبهم كي يخلقوا لهم رافدًا بل نبعًا ينهلون عذبَ زلاله ورقراق سلسبيله وصفاء نميره.

هنا ألحظ سؤالًا في أعينكم.. من هم هؤلاء السبعة؟!!

فإن كان لزامًا رصّ أسمائهم فهم الأحبّة: ناجي الحرز وأخوه حسين، والشيخان محمد الجاسم وعبد الله السعد، واليوسفان بوقرين والمشاجرة، وأنا.

هذا الحلم الذي ظلّ يراودنا وينمو داخلنا كان مبعثه إحساسٌ بأنّ كلا منّا يكملُ الآخر، هذا الشعور لم يكن دقيقًا بالنسبة لنظرتي للأخ ناجي الحرز الذي امتازَ عنّا نحن الستة بطول التجربة

ووفرة الخبرة، فقد سبقنا إلى عالم الشعر واكتوى بلهيبه ولَسَعَتْهُ نارُه قبل أن ننفخ في رمادها.

كنت أعرفه شاعرًا قبل أن أصافحه جسدًا، فقلت -وأنا أعيش هذا الظمأ الملتهب للمعرفة-: لِمَ لا أقرب من هذا الشاب وأستفيد من تجربته وأجنّح ضمن سربه، فلعلنا نحلّق في أفق الإبداع سويًّا.. وهذا ما كان.

كنتُ أوّل من أسرَّ له صديقي ناجي بفكرة تأسيس تجمّع يضمّنا ، ساعتها كدتُ أطيرُ فرِحًا وكيف لا وأنا أرى حلمي ماثلًا أمامي، وهنا انتظم عقد أولى جلساتنا وفيها بدأنا نضع خطوطًا عريضة تؤسِّس لهذا التجمّع، فقد اتفقنا بادئ الأمر أن تعقد الجلسة مرةً كل أسبوع وظهر الخميس تحديدًا وفي الثانية والنصف بصورةٍ أدق، وأمّا المكان فقد تمَّ الاتفاق أن تعقد بيننا بالتناوب (ولاحقًا كان منزل العزيز ناجي محط رحالها الدائم).. أخونا الجميل عبدالوهّاب أبو زيد لم يمهلنا طويلًا إذ كان أوّل المنضمّين لنا.

بدايةً كان الاستماع لجديد الأعضاء هو السِّمة الرئيسة، فقد كان كل عضوٍ يصطحب معه آخر إنتاجه ليضعه أمام النقد، فكان يتلقّى ما يستحقه إنْ مدحًا أو تقويمًا أو توجيهًا أو ما شابه ذلك، إلاّ أنّ الثابت لديه أنَّ النقد مهما كان عنيفًا وقاسيًا فلا يعدو كون الارتقاء بالنصّ هو الهدف المنشود، حتى أنَّ كثيرًا من نصوصي في تلك الفترة وهيَ تعيش مخاضها كان ناجي أو عبد الله أو الشيخ محمد وكذا البقيّة ماثلين أمامي وأرى أصابعهم وتغضّنَ وجوههم ماثلةً هيَ الأخرى لتردعني عن كلمةٍ هنا أو فكرةٍ هناك.

الله.. الله ما أجمل تلك الأيام وما أعبق تلك الذكريات، أحيانًا يكون الصوت عاليًا والنقد مؤلمًا، ولكنه كمشرط الجرّاح يؤلمك ليداويك؛ ويجرحك ليشفيك هذا ما كنّا نشعر به.

قد أتهم بالمبالغة وبمجانبة الصواب وخلق صورةٍ ملائكيّة، ولكني أتحدّث عن واقع، فعندما أتعلّم أني أستقي هذه الذكريات مما كنت أدوِّنه في مذكراتي اليوميّة أولًا بأوّل -وهيَ عادةٌ جميلة دأبت عليه منذ عام 1983م وما زلت أعيشها حتى هذه اللحظة- وهنا لن تستغرب كيف استرجع جزئيّات ما كان يجري.. وبحق أني وإن صافحت الشعر قبيل تشكيل هذا المنتدى إلا إنَّ بدايتي الفعليّة والحقيقيّة انطلقت وانتظم عقدها في ظلّه، وأسجّل هنا شهادةً سمعتها مشافهةً من أخي ورفيق دربي ناجي الحرز والذي تعانق مع الشعر قبل المنتدى بخمس عشرةَ سنة وهو يصرُّ أنَّ انطلاقته الفعليّة بدأت معه وفي ظلّه وللتاريخ أيضًا أنَّ هذا الخاطر سمعته من البقيّة.

في سنته الثالثة وبالتحديد عام 1990م انضمّ َ إلينا المبدعان الصديقان جاسم الصحيّح والسيد علي النحوي، ثمّ َ توالى الشعراء ينضمّون للمنتدى تباعًا، وفي سنوات سبع أصبحَ فيها المنتدى يضمّ ُ نخبة شعراء الأحساء.

ولو عدنا لسني المنتدى الأولى فقد أدخلنا على فقراته بعضًا مما كنّ َا نظنّ ُ أنّ َ له مساسًا بالشعر كالدراسات النقديّة، ومنها ولدت فكرة مناقشة قصائد لشعراء كبار واستعراض ما بها من جمال أسلوب ودقّة معنى ووضوح دلالة لتخلق لنا هيَ الأخرى رافدًا جديدًا وبابًا نلج منه في عالم الشعر، أيضَا اقترحَ ناجي أن تكون لنا وقفة تفسيريّة للقرآن الكريم، فتولّى هوَ هذه الفقرة، وفقرة أخرى نستعرض فيها ما يستجدّ من قصائد لشعراء من خارج المنتدى، وهذه الفقرة ساهمت في اطلاعنا على تجارب جديدة وتعريفنا بشعراء مجنّحين ساهموا في قابل أيامهم في إنجاح المنتدى.

لم يكن الطريق مفروشًا بالورود دائمًا بل كانت تخلّله تعرّجات وانحناءات، فأحيانًا ينشغل البعض فتتأخر الجلسة أو تلِحّ ُ الشواغل فينقطعوا عنها، لكن هذا لم يدم طويًلا لعلم هذا المجترح أنّ َه سيغدو بين مطرقة التعنيف المنثور وسندان اللوم المنظوم، وأتذكّر هنا أبياتًا من قصيدةٍ للأخ ناجي يعاتب فيها متخلّ ِفين عن إحدى الجلسات:

فقلتُ في الشكوى وفي العتابِ

مِن وعلى الصفوةِ من صحابي

لمّ َا تخلّفوا عن الخميسِ

فذكّروني شقوتي وبوسي

من قبل أنْ يجمعني ا ُ بهمْ

وتضحكُ الأيّامُ لي بقربِهمْ

ما بالكم يَا ثمرَ الفؤادِ

ملتُمْ إلى الجفوةِ والبعادِ

من بعدما صرنَا على الطريقِ

كأنّنَا الشقيقُ للشقيقِ

وأجدني هنا مُقِرّاً بتقصيري تجاه منتدايَ وحاضنيَ الأوّل، لعل للمشاغل والبعد (الدمّامي) دورًا في ذلك، ولكنّي وإنْ غبت عنه جسدًا أحيانًا، إلّا أنّ روحي وقلبي حاضران معه في كلّ الأحايين حبًّا وانتماءً، وبهجةً وافتخارًا لِما وصل له من نهضةٍ وارتقاء.

الذكريات كثيرة، والصور الرائعة أكثر، وحلو أيّامها أعمق، ولعلّ القادم من الأيّام يسمح بما هو أغزر وأجمل من تلك الصور التي رافقت فترة تأسيس هذا المنتدى الرائد.. والذي أصبح اليوم -وبعد مرور ثلث قرن من عمره الزاهر- أهمّ وأنضج المنتديات في المنطقة، فهو يضمّ اليوم أبرز شعراء الأحساء، إذ لا تجد شاعرًا أحسائيًا يشار له بالبنان أو يومأ له بالأكفّ إلّا ولمنتدى الينابيع الهجريّة فضلٌ من قريب أو بعيد عليه، حيث أصبح اليوم واحدًا من أهم معالم الأحساء الثقافية إن لم يكن أهمّها على الإطلاق.

فالحلم الذي تلقّفته جوانحنا ذات إشراقةٍ أدبيّة؛ واحتضنه وَعْيُنا الصغير في لحظات تجلٍّ إبداعيّة، والأمل الذي نشأ وترعرع وشبّ داخلنا قبل ثلث قرن نعيش الآن مرحلة نضجه، وبلوغ أشدّه، وعبوره لُجَجًا عاتية في رحلته اللاهثة للوصول إلى قمّة التألق والسمو.

فتحيّةٌ من الأعماق لهذا الصرح الكبير، وهذا البناء الشامخ، ومثلها لرائدِهِ ومؤسّسِه وصاحب فكرته وباني نهضته الصديق ناجي بن داود الحرز، الذي لولا همته، وحركته الدؤوبة، ورعايته الأبويّة لكل ما اتصل بالأدب والإبداع من قريبٍ أو بعيد، لما كُتِبَ لهذه البذرة أن تنضج، ولا لنضوجها الاستمرار نموًا وتدفّقًا وعطاءً). إنتهى كلام الأستاذ زكي